



كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة  
المجلة العلمية

---

## بين الأدب والتاريخ

إعداد

أ.د/ رمضان حسانين جاد المولي

أستاذ الأدب والنقد  
في كلية اللغة العربية بأسسيوط

( العدد الثاني )

( الإصدار الأول )

( ٢٠٢١م / ١٤٤٣هـ )

## بين الأدب والتاريخ

الاسم : رمضان حسانين جاد المولى

أستاذ الأدب والنقد في كلية اللغة العربية أسيوط - جامعة الأزهر .

الدولة : جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني : abomahiar@yahoo.com

### الملخص :

إن من يمعن النظر في العلاقة بين الأدب والتاريخ سيجد تكاملا ؛ لا تقاطعا قد يبدو جليا حيناً ، أو تغشيه غلالة الفصل بين العلوم تارة أخرى ، فعلومنا العربية خرجت كلها من رحم الإسلام ، ولذا فهي مهما تشعبت وتعددت فإن وشائج القربى بينها قائمة ، والتاريخ والأدب ، أو إن شئت قل الأدب والتاريخ ، تظهر علاقة القربى بينهما ، بل الحميمية التي تربطهما جليتين للعيان ، ونحن هنا على هذه الصفحات سنحاول تجلية هذه الفكرة ، من خلال التنقيب عن نقاط التماس والمفارقة بين التاريخ والأدب في ثقافتنا العربية الإسلامية ؛ وأترك للقارئ الحكم على مدى صواب النظرة من خطنها ، ويكفيني أن أسعد بتقديمها إلى مجلتكم .

### الكلمات المفتاحية :

التاريخ ، السيرة / الترجمة / المذكرات / اليوميات / الأدب / القصة التاريخية  
تاريخ الأدب والمفهوم ، عناصر التجربة ، مراحل التجربة ،

"Between Literature and History"

**Name:** Ramadan Hassanein Gad Al Mawla

**Professor of Literature and Criticism at the Faculty of Arabic Language, Assiut - Al-Azhar University .**

**Country:** Arab Republic of Egypt .

**Email:** abomahiar@yahoo.com

**Summary :**

Whoever closely examines the relationship between literature and history will find complementarity. There is no intersection, which may appear clear at one time, or overshadow the veil of separation between the sciences at other times. Our Arabic sciences all emerged from the womb of Islam, and therefore no matter how branched and numerous, the ties of kinship between them exist, and history and literature, or if you wish, say literature and history, the kinship relationship between them appears. Rather, the intimacy that binds them is clearly visible, and here on these pages we will try to clarify this idea, by excavating the points of contact and contrast between history and literature in our Arab-Islamic culture; I leave it to the reader to judge how correct and incorrect the view is, and it suffices for me to be happy to present it to your magazine.

**Keywords:** iography/translation/memoirs/diaries/literature/historical story/history of literature and concept, elements of experience, stages of experience,

## بين الأدب والتاريخ

### توطئة

الحمد لله على نعمائه ، وله الشكر على جزيل عطائه ، وصلاة وسلاما على  
رسول الله وأنبيائه وبعد  
فعلومنا العربية خرجت كلها من رحم الإسلام ، ولذا فهي مهما تشعبت  
وتعددت فإن وشائج القربى بينها قائمة ، والتاريخ والأدب ، أو إن شئت قل الأدب  
والتاريخ ، تظهر علاقة القربى بينهما ، بل والحميمية التي تربطهما جليتين  
للعيان ، وقد حاولت في الصفحات التالية من هذا البحث أن أجلي هذه الفكرة من  
خلال العلاقة بين الأدب والتاريخ ، وأترك للقارئ الحكم على مدى صواب النظرة  
من خطئها ، ويكفيني أن أسعد بتقديمها إلى مؤتمركم ، راجيا لكم التوفيق .

## المبحث الأول

### جدلية التاريخ والأدب

إن من يمعن النظر في العلاقة بين الأدب والتاريخ سيجد تكاملا لا تقاطعا قد يبدو جليا حيناً ، أو تغشيه غلالة الفصل بين العلوم تارة أخرى، ونحن هنا على الصفحات سنحاول التنقيب عن نقاط التماس والمفارقة بين التاريخ والأدب في ثقافتنا العربية الإسلامية، وسوف نبدأ هذه الإشكالية بالبحث عن ماهية كل منهما. أما الأدب فظاهرة فنية معروفة لها جذورها التاريخية والحضارية ، ومع ذلك فقد تعددت مدلولات الكلمة واستعمالاتها في مسيرتها الدلالية ؛ بل والاصطلاحية ، ونحن نرفق بالبحث والقارئ من مشقة تتبع هذا التطور ونحيل الراغب في الاستزادة إلى دراسات تناولت ذلك بشيء من التفصيل<sup>(١)</sup>

لكن نقول اتسع مفهوم "الأدب" في العصر العباسي فصار المراد منه كل ما يؤدي إلى التكوين الثقافي والعلمي ، من علوم ومعارف<sup>(٢)</sup> ولعل مقولة ابن قتيبة الشهيرة " .. من أراد أن يكون عالماً فليزِم فناً واحداً ، ومن أراد أن يكون أديباً فليتسع في العلوم "<sup>(٣)</sup> ، لخبر دليل على تلك الرؤية ولعله مما مكن لإطلاق الأدب بهذا المفهوم العام الشامل ، أن مصطلح الأديب كان يطلق ويراد

---

(١) على سبيل المثال / المصطلح الأدبي بين دلالة المفهوم وإشكالية التنظير / رمضان حسانين جاد المولى مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط ( العدد الثالث والثلاثون - الجزء الأول ٢٠١٤ م ).

(٢) عيون الأخبار/ عيون الأخبار: ابن قتيبة الدينوري الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ / ج١ ص ٤٣ .

(٣) العقد الفريد / ابن عبد ربه ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ ج٢ ص ٧٨

منه الجمع بين مختلف الأنشطة العقلية ، دون أن يختص به منشئو الأدب ، فممارسة الكتابة الأدبية كان اللفظ اللصيق بصاحبها هو لفظ " كاتب " ومن ينشئ الأشعار ويزجي القوافي ، ويقرض القريض فاللفظ الذي يصاحبه هو لفظ شاعر ، والذي يلهب الحماس ، ويستثير الجماهير ، فهو خطيب ... وهكذا .

أما لفظ أدب فهو أكثر اتساعاً وأكثر إطلاقاً على الجامعين بين الرواية والكتابة والتحصيل الثقافي والأدبي ، وهذه العمومية في الإطلاق هي التي حدثت بمصطلح أدب أن يتسع ويشمل سائر فنون المعرفة والثقافة حتى البعيدة منها عن علوم العربية ؛ " فالحصري القيرواني ، نجده قد جعل الشعر والنثر والنقد والأخبار والأيام والطرائف والنوادر ... الخ " من الأدب .<sup>(١)</sup>

فإذا ما انتقلنا خطوة إلى الزمخشري نراه يجعل علم الأدب ، اثنا عشر علماً<sup>(٢)</sup> وعرفه أبو البقاء في كلياته بقوله : (هُوَ عِلْمٌ يَحْتَرِّزُ بِهِ عَنِ الْخَلَلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لَفْظاً أَوْ كِتَابَةً، أُصُولُهُ: اللُّغَةُ، وَالصَّرْفُ، وَالِاشْتِقَاقُ، وَالنَّحْوُ، وَالْمَعْنَى، وَالْبَيَانُ، وَالْعَرُوضُ، وَالْقَافِيَةُ. وفروعه: الخط، وقرض الشعر، والإنشاء، والمحاضرات وَمِنْهَا التَّوَارِيخُ، وَالبديع ذيل للمعاني وَالْبَيَانُ)<sup>(٣)</sup>، وجعله صاحب صبح الأعشى

(١) زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري ، تحقيق ذكي مبارك القاهرة ١٠٥٣ م .

(٢) القسطاس في علم العروض: الزمخشري ، المحقق: الدكتور فخر الدين قباوة الناشر: مكتبة المعارف بيروت - لبنان الطبعة: الثانية المجددة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م ، مقدمة كتابه ص ١٥

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، ص ٦٨

عشرة علوم<sup>(١)</sup> ، وجعل إخوان الصفا " علم الآداب يتناول العلوم الرياضية وهي التي تقابل عندهم العلوم الشرعية والفلسفية ، وجعلوا الرياضة هي تلك التي وضع أكثرها لطلب المعاش ، وصلاح أمر الحياة الدنيا ، وهي تسعة أنواع<sup>(٢)</sup> : أولها علم الكتابة والقراءة ، ومنها علم اللغة والنحو ، ومنها علم الحساب والمعاملات ، ومنها علم الشعر والعروض ، ومنها علم الزجر والفأل وما يشاكله ومنها علم السحر والعزائم والكيمياء وما يشاكلها ، ومنها علم الحرف والصنائع ومنها علم البيع والشراء والتجارات أو الحرث والنسل ، ومنها علم السير والأخبار ، وفي الوقت الذي نكاد نعترف فيه لابن خلدون بقربه من تحديد هذا الفن ؛ إذ به يخطئ خطأ يعود به إلى ما عرفناه ، في سابق سردنا لمسيرة المصطلح يقول : " هذا العلم لا موضوع له ، ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ، وهو الإجابة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم ، فيجمعون من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر عالي الطبقة ، وسجع متساو في الإجابة ، ومسائل من اللغة والنحو مبنوثة أثناء ذلك متفرقة ، يستقروا منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية ، مع ذكر بعض أيام العرب ليفهم به ما يقع في أشعارهم منها ، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة ، والأخبار العامة والمقصود بذلك صلته ألا يخفي على الناظر فيه بشيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المؤلف : أحمد بن علي القلقشندي ، الناشر : دار الفكر - دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ ، تحقيق : د.يوسف علي طويل ، ج ١ ص ٥٣٨

(٢) تفاصيل ذلك في الفصل الثالث من كتاب : الإنسان والأدب في رسائل إخوان الصفا ، تأليف : منال إسماعيل عجوب ، الناشر : وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب

تصفحه ، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمها ، فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ، ثم إنهم إذا أرادوا حدّ هذا الفن ، قالوا : الأدب هو حفظ أشعار العرب ، وأخبارهم ، والأخذ من كل فن بطرف ...<sup>(١)</sup>. وانطلاقاً من هذه الرؤية الشمولية للثقافة العربية القديمة نجد أن التاريخ أدب والمؤرخ أديب .

فإذا ما وصلنا إلى العصر الحديث حيث باتت المصطلحات والمفاهيم أكثر تحديداً ، لم ينفق النقاد والأدباء على تعريف واحد للأدب بل تعددت ، ولكنها حملت استقلاله علماً وفناً ، فالواقع (إن المصطلح العلمي قد يكون بمنجاة عن الغموض واللبس ؛ إذا اتبع واضعه الدقة اللغوية ، وتلافى كل مشترك بحيث تجردت الألفاظ تجرداً منطقياً حتى أصبحت كالرموز الرياضية ، لكن الأدب مهما تعددت المحاولات لتحديد مصطلحاته ، ومها دق اللفظ المصطلح وبالغ الواضع في تجرده ، فإن ارتباط الأدب بدواخل النفس الإنسانية ، وتلون المزاج الإبداعي بعوامل البيئة زمانية ومكانية يجعل من الصعوبة أن ينفرد المصطلح بدلالة مجردة ومحيدة)<sup>(٢)</sup> ، فالشايب يراه " التعبير عن الأفكار أو تصوير الشعور؛ أو تأليف المسائل والآراء العلمية إذا كان الفن الكلامي الذي يؤدي ما في النفوس من تراث العقول ونوازع الانفعال والميول،"<sup>(٣)</sup> ، وأما سيد قطب فيراه " التعبير عن تجربة

(١) تفاصيل ذلك في الفصل الثالث من كتاب : الإنسان والأدب في رسائل إخوان الصفا ، تأليف: منال إسماعيل عجوب ، الناشر: وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق ٢٠١١ م ، ج ١ ص ٧٦٣ .

(٢) المصطلح الأدبي بين دلالة المفهوم وإشكالية التنظير / رمضان حسانين جاد المولى ، مصدر سابق ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٣) الأسلوب: أحمد الشايب الناشر: مكتبة النهضة المصرية الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣ ، ص ١١ .



شعورية في صورة موحية<sup>(١)</sup> وهو عند عز الدين إسماعيل : "الأدب تعبير عن الحياة وسيلته اللغة"<sup>(٢)</sup>.

والخلاصة أنه تجربة إنسانية تكشف النوازع والميول وتتأثر بمحيطها الحي ، فهو وثيقة تؤرخ للإنسان والحياة ، يؤدي النفاذ إلى دواخلها ومدلولاتها إلى كشف الواقع ، ورصد حوادثه ، وتقديم صورة متكاملة صادقة للحياة والإنسان ، وما التاريخ إلا رصد لهذه الظواهر ، وتسجيل لمجريات الأحداث .

أما التاريخ ففي معاجم اللغة : التاريخ والتأريخ والتورخ يعني الإعلام بالوقت، ويدل تاريخ الشيء على غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه<sup>(٣)</sup>، وقد اختلف في أصلها ؛ فقيل إنه عربي، وقيل إنه غير ذلك<sup>(٤)</sup> ، ولم ترد اللفظة في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية المطهرة ؛ وقامت مقامها مفردات أخرى تحمل معناها من مثل (القصص) بمعنى: الأخبار المتتابعة<sup>(٥)</sup> ، وقد مرت كلمة التاريخ بتطورات عديدة في الثقافة العربية، فقد بدأت بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الإسلام، واحتفظت بهذا المعنى إلى الآن ، ثم أطلقت على ما كان يعرف

(١) النقد الأدبي : أصوله ومناهجه / سيد قطب / دار الشروق / ط١٠٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ٩ .

(٢) الأدب وفنونه - دراسة ونقد ا: عز الدين إسماعيل الناشر: دار الفكر العربي ، ص١٣ .

(٣) لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور ا: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ

(مادة أرخ/ج ٤٤/١ ، تاج العروس، الزبيدي ، دار صادر، بيروت، ( مادة أرخ)، ٠٤/٢ .

(٤) المنظور الحضاري في التدوين منذ العرب، سالم أحمد محل ، سلسلة "كتاب الأمة" (العدد) ٦٠ ، رجب ١٤١٨ هـ - نوفمبر ١٩٩٧ م . ص:٧٧/٧٨..

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ٢٧١/٤ .

باسم "الخبر"،. ومنذ القرن الثالث الهجري، صارت كلمة التاريخ تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخباره ، وأخبار الرجال، والكتب التي تحوي ذلك، وحلت كلمة التاريخ محل كلمة الخبر والإخباري، اللتين اختفينا من الاستعمال في القرن الرابع الهجري (١)

أما التاريخ اصطلاحاً : فقد تنوعت تعاريفه وتعددت، بتنوع ثقافات ومشارب وأهواء وانتماءات ومذاهب الذين ولجوا موضوعه ، على ضوء المنظور الثقافي والفكري والمذهبي لكل مؤرخ<sup>(٢)</sup> ، فالتاريخ يعني (الوقت)، يقول خليفة بن خياط: ((وبالتاريخ عرف الناس أمر حجهم وصومهم وانقضاء عدد نساءهم ومحل ديونهم)<sup>(٣)</sup>، والكافيحي(٧٨٨ هـ / ٨٧٩ هـ) يعرفه بأنه: ((هو تعيين الوقت لينسب إليه زمان مطلقاً، سواء كان قد مضى أو كان حاضراً أو سيأتي..)) ، ويقول في موضع آخر: ((وقيل: التاريخ تعريف الوقت بإسناده إلى أول حدوث أمر شائع، كظهور ملة، أو وقوع حادثة هائلة، من طوفان أو زلزلة عظيمة ))<sup>(٤)</sup> وغير

(١) المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب مرجع سابق/ ص ٨١ ، ٨٢ بتصريف يسير..

(٢) المرجع السابق ص ٨٣..

(٣) تاريخ خليفة بن خياط. : خليفة بن خياط. تحقيق: د. أكرم ضياء العمري: دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧ ، ج ١ ص ٤٩ ، المؤلف: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العسفري البصري (المتوفى: ٢٤٠هـ).

(٤) المختصر في علم التاريخ :محي الدين الكافيحي/ تحقيق: محمد كمال عز الدين : عالم الكتب ، لبنان ، بيروت / ١٤١٠ - ١٩٩٠ ص ١٦ ، ومحيي الدين الكافيحي هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الكافيحي الرومي، كنيته أبو عبد الله، ولقبه محيي الدين، من كبار العلماء بالمعقولات، عرف بالكافيحي؛ لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ١٨٥ ، الأعلام للزركلي، ج ٦ ص ١٥٠ .

خاف أن الكافيحي في هذا التعريف اقترب من التاريخ كعلم ، أما تعريف السّخاوي (٨٣١ - ٩٠٢ هـ / ١٤٢٧ - ١٤٩٧ م) للتاريخ فتقرب عنده صورته بوصفه علما يقول: "إن التاريخ فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت بل عما كان في العالم" (١) وتتضح معالم فن أو علم التاريخ لدى ابن خلدون (المتوفى عام: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) يقول ( .. فنّ التّاريخ ... . يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم. والأنبياء في سيرهم. والملوك في دولهم وسياستهم. حتى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدّين والدّنيا فهو محتاج إلى مأخذ متعدّدة ومعارف متنوّعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحقّ وينكبّان به عن المزلّات والمغالط ) (٢) ، وهو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدّول ..... وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق" (٣).

والكافيحي وابن خلدون ويلحق بهم السخاوي هم من رجال القرن الثامن والتاسع ، ويبدو أنه من هذا التاريخ ، بدأ التاريخ ، تُخَطّ معالمه علما وفنا . وبالنظر إلى التعريفات السابقة فإن التاريخ والأدب محورهما الإنسان ، فإذا كان التاريخ رصد هذا الواقع الإنساني كما كان ، فإن الأدب يرصد الواقع

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، الإمام شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي تحقيق : المستشرق فرانز روزنثال . ترجمة التحقيق : الدكتور صالح أحمد العلي . دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت . سنة النشر : ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م . الطبعة : الأولى ص ١٩ .

(٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر / عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون / تحقيق : خليل شحادة نشر: دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ج ١ ص ١٣

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٣

الإنساني كما ينبغي أن يكون ، فقد قيل “إن التاريخ هو الرواية التي حصلت، والرواية هي التاريخ الذي كان يمكن أن يحصل..” فبإمكان الأدب أن يعين على إدراك ما يُعرف بروح العصر وقتما يتم استنطاقه ، فالنص الأدبي في حد ذاته وثيقة تاريخية ، يستعين بها المؤرخ على استكشاف روح العصر، بشرط أن تتجاوز معاملة النص سطحه بل تستبطن دواخله وتسبر أعماقه ، لتعطي صورة كافية للحياة في أي عصر، أو على الأقل تساعد على استكمال الصورة ، والتاريخ كاشف يستعين به الناقد على قراءة النص . فيعد الأدب أحد العلوم المساندة للمؤرخ ، حيث إن الأدب هو مرآة لحياة الشعوب، ومن خلاله يعبر الأدباء عن كل ما يجول في أفكارهم وأحاسيسهم ومشاعرهم وتفاعلهم مع الأحداث. كما أن الأدب يصور ما بداخل الناس من أحلام وأمان، ويرسم طبيعة الحياة في المدينة أو في الريف أو في الاقتصاد أو في الحرب والسلام<sup>(١)</sup> .

كما توجد في التاريخ العربي أعمال أدبية تساعد المؤرخين على معرفة التاريخ العربي وأهم الأحداث التي وقعت فيه، لذا فقد قيل: إن الشعر الجاهلي “ديوان العرب”. فمن خلال هذا الشعر يمكننا أن نتعرف على كثير من النواحي الاجتماعية والنفسية عند العرب في العصر الجاهلي<sup>(٢)</sup>.

وهكذا ؛ فبين الأدب والتاريخ من وشائج القربى ما يجعلهما مرتبطين بصورة شبه عضوية منذ القدم ، فالعلوم النظرية لا يمكن الفصل بينها بسياجات دقيقة ، يتبقى للأدب أنه يأخذ من التاريخ المادة الخام التي يعيد تشكيلها وفق وجهة نظر الأديب ، ومن ثم فعلاقته بالمادة التاريخية تغدو متحررة من حرفية التاريخ

(١) منهج البحث التاريخي / د: حسن عثمان : دار المعارف، القاهرة، ط ١١، ١٩٩٣م ص ٣٨  
بتصرف يسير.

(٢) منهج البحث التاريخي، د/عيد سعيد مرعي : مكتبة الخبتي، ببشة، ط ١، ١٩٢٦هـ ص ٧٣.

وحقائقه ، ويفترق المؤرخ الأصيل بتقديم الحقائق التاريخية ؛ بمعنى أنه يتقيد بحقائق التاريخ وأحداثه كما وردت في المصادر الموثوقة ، وإن كنا لانعدم فيها توجهه ، كما لا يعدم اللجوء إلى التخيل في ربط الأحداث ومنطقتها ، ومن هنا فالعلاقة بين الأدب والتاريخ علاقة تكامل وليست علاقة تفاضل أو تناقض.

## المبحث الثاني

### تعانق الأدب والتاريخ

في تراثنا القديم ذابت الحدود بينهما أو كادت حيث سكن التاريخ الأدب في الملاحم والسير وكتب الأخبار ، وفي الشعر والنثر، وكان الأدب وصياغته هي لغة المؤرخ ؛ بحيث لا تستطيع الفصل بحسم فيما بين يديك إلى أي منهما ينتمي ، هل هو تاريخ كتب بلغة الأدب ، أم انه أدب بصياغة تاريخية ، وكتب التاريخ الأولى هي بما تشكل في أسلوبها ، وتلاحم من عباراتها ، وما أفرزته صياغاتها ؛ هي كتب أدبية ككتاب التيجان في ملوك حمير لوهب بن منبه "م/ ١١٠ / ٧٢٨" وكتاب الإكليل وصفة جزيرة العرب للهمداني "م/ ٣٤٠ / ٩٥١" وكتاب الأَصْنان لابن الكلبي "م/ ٢٠٤ / ٨١٩" وكتاب سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني، وكتاب ملوك حمير وأقيال اليمن لنشوان بن سعيد الحميري "م/ ٥٧٣ هـ" ، وهكذا فالكتابات التاريخية عند العرب لم تكن مستقلة ، قبل أن يصبح التاريخ علماً، له أسسه ، ومناهجه ، فكانت الأطوار الأولى للكتابة التاريخية تعتمد السرد والقص ، فأول صورة دون بها التاريخ كانت في صورة قصصية. حيث ذكرت الأخبار الأولى عن الأحداث التي مرت بالخليقة منذ نشأتها الأولى كقصة خلق الإنسان ، والطوفان .... إلخ. فقد بدأ الإنسان منذ فجر الخليقة يحكي لأبنائه وأحفاده القصص عن الأجداد والسلف. وبالطبع امتزج هذا القصص الحقيقي بالخيال<sup>(١)</sup> ، وبذلك بدأ الإنسان يهتم بأخبار أسلافه السابقين. ولعل الهدف الأساسي هو اتخاذ العظة والعبرة من الماضي ، وتوضيح الحاضر ، والنظر إلى

(١) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، عبد العزيز الدوري: العبيكان، الرياض،

١٤٢٠هـ، ص ١٤٧ - ١٥٥.

المستقبل في ضوء هذا الماضي بعظاته وعبره<sup>(١)</sup>. وكان لاتساع مفهوم التاريخ عند العرب، أن حفلت الكتابة التاريخية بالقصص والأساطير الشعبية<sup>(٢)</sup>، ثم ظهر مؤرخو المغازي والسير ومن أشهرهم : موسى بن عقبة (المتوفى عام: ١٤١هـ / ٧٥٨م)، ومحمد بن إسحاق (المتوفى عام: ١٥٠هـ / ٧٦٨م)، ومحمد ابن عمر الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧ هـ / ٧٤٧ - ٨٢٣ م) ، وابن هشام (محمد عبد الملك بن هشام المعافري، المتوفى عام: ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م)، ومحمد بن سعد (١٦٨ - ٢٣٠ هـ / ٧٨٤ - ٨٤٥ م)، وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

ومنذ أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، توسع المؤرخون المسلمون في تسجيل الأحداث التاريخية، فقد توفرت لديهم مادة تاريخية من خلال الدواوين؛ ومنها: ديوان الإنشاء ، وديوان الجند، وديوان الخراج ، وديوان البريد...إلخ. بالإضافة إلى اطلاع المؤرخين المسلمين على الكتب التي ترجمت من اللغات الأجنبية كالفارسية والهندية واليونانية والرومانية إلى اللغة العربية<sup>(٤)</sup>. فأسهم كل ذلك في زيادة حركة التدوين في التاريخ العام للمسلمين، فألفينا: كتاب " تاريخ الرسل والملوك " للطبري ( محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، المتوفى عام: ٣١٠هـ / ٩٢٢م) ، وكتاب " مروج الذهب ومعادن الجوهر " للمسعودي ( علي بن الحسين بن علي، المتوفى عام: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) ، وكتاب " تجارب الأمم " لابن مسكويه ( أحمد بن محمد بن يعقوب، المتوفى عام: ٤٢١هـ /

(١) التاريخ والسير، حسين فوزي النجار: دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٢٣..

(٢) لمزيد من التفاصيل، انظر: التاريخ العربي والمؤرخون، شاكر مصطفى: جـ ١، ص ٧٤ وما بعدها.

(٣) ضحى الإسلام، أحمد أمين الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، جـ ٢، ص ٣٢٨ وما بعدها..

(٤) ضحى الإسلام ، أحمد أمين المصدر السابق ، جـ ١، ص ١٨٢، ٢٤٧، ٢٧١.

١٠٣٠م)، وكتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المتوفى عام: ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)، وكتاب "المختصر في أخبار البشر" لأبي الفدا (إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه، المتوفى عام: ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، وكتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر" لابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المتوفى عام: ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، والذي ذكر في مقدمته فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه ، وأشار إلى أخطاء المؤرخين ، فحذر من الوقوع تحت تأثير النقل من الأقدمين ، دون مراعاة لأصول البحث العلمي في النقد<sup>(١)</sup> ، وها هي ذي كتب التراجم والأعلام ، والوفيات ، والطبقات كتب أدب وتاريخ في آن واحد ؛ فالشعر والشعراء لابي قتيبة الدينوري ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وفوات الوفيات للكتبي ، والوفاي بالوفيات للصفدي ، وطبقات فحول الشعراء للجمحي ، وطبقات ابن المعتز... كل ذلك على سبيل المثال لا الحصر، هي كتب مشتركة بين الأدب والتاريخ .

وعندما ارتقت ذهنية البشر ، وأرادوا وضع فواصل ضابطة بين العلوم ، ظلت العلاقة بين الأدب والتاريخ ، أو إن شئت فقل بين التاريخ والأدب قائمة ، بل ارتقت هذه العلاقة ، وصار التاريخ موضوعا للأدب ، ولم يستغن المؤرخ عن الصياغة الأدبية المقتنة في تأريخه . وظل الجدل والالتباس قائما لا ينفك في الموضوعات المشتركة ؛ مثل السير والتراجم والقصص التاريخية... الخ ، بل واحتاج مؤرخ الأدب إلى التاريخ مستعينا به خلفية لتقسيم العصور الأدبية ، واعتمد التاريخ مادة الأدب وثيقة يستقي من خلالها الأحداث أو يوثق بها .

(١) مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه ، سيدة إسماعيل سيد كاشف : دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٦٣ وما بعدها.



هناك مقولة مشهورة بين الباحثين في التاريخ وهي "لا تاريخ بلا مصادر" ، والأدب مصدر من المصادر الرئيسية للمؤرخ عن حياة العرب قبل الإسلام ، فالنقوش والأثار زهيدة لا تفي بالغرض ، وليس أمام المؤرخ من مصادر ، سوى الأدب ، أما الكتب السماوية السابقة على القرآن بحسب النزول فهي في نصها الراهن ليس موثوقا تماما بها ، والقرآن الكريم لم ينزل كتابا للتأريخ ، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد ، وهدف القرآن من حديثه عن الأمم الأخرى ليس مقصودا به التأريخ لهذه الأمم ؛ وإنما للعبرة والموعظة ، صحيح أن ما ذكره القرآن هو الحق الحقيقي لا مرأى فيه ولا شك حيث يقول: {.....وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} (١) ، ويقول: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ .....} (٢) ، ويقول: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ} (٣). فهو من هذا المنطلق أصدق المصادر وأصحها على الإطلاق ، وتأتي كتب الحديث أصدق المصادر بعد كتاب الله وشروحها - مصدر تاريخي - لتدوين أخبار الجاهلية فيما قبيل الإسلام، لكنه لأنها لم تكتب للتأريخ فهما مع صدقهما لا يسعفان المؤرخ في حاجته ، فإن المؤرخ في حاجة إلى مصادر يستقي منها تفاصيل ما أراد من الكثير عن حياة العرب ، فليس أمامه سوى الأدب بشعره ونثره وثيقة تاريخية يحلها ، ويستقي منها ما غيبته الأيام . فأيام العرب في الجاهلية بما اشتملت عليه من الوقائع والأحداث ؛ تعد مصدرا خصبا من مصادر التاريخ ، فهي توضح شيئا من الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم، وتروي كثيرا مما كان يقع بين العرب أنفسهم من خلاف، بل إنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب

(١) سورة النساء الآية ٨٧..

(٢) الآية ٦٢ من سورة آل عمران..

(٣) الآية ١٣ من سورة الكهف..

شجرت بين القبائل، ووقائع كانت بين البطون والأفخاذ والعشائر. وهي كما نعلم ينبوعاً من ينابيع الأدب وصورة من صور القص الطريف هي أيضاً مرآة صادقة لأحوال العرب وعاداتهم وأسلوب حياتهم، وشأنهم في الحرب والسلم، والاجتماع والفرقة، والفداء والأسر، والنجعة والاستقرار، وفضائلهم وشيمهم، كالدفاع عن الحريم والوفاء بالعهد، والانتصار للعشيرة وحماية الجار، والصبر في القتال والصدق عند اللقاء، وغير هذا مما نراه واضحاً في تلك الأيام. والخطب والوصايا والأمثال والحكم مرآة صافية تظهر فيها عاداتهم وتقاليدهم، وتكشف الكثير من شئون حياتهم.

والشعر العربي وثيقة تاريخية، فالشعر ديوان العرب، استودعوه أيامهم وأفراحهم وأتراحهم، وسجلتْ فيه أخلاقهم وعاداتهم ودياناتهم وعقليتهم، فهو بلا ريب مصدر من مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام، وهكذا يروي ابن سيرين عن الفاروق عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه- قوله: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"<sup>(١)</sup> وقريب من هذا ما يروي عن "عكرمة" -تلميذ ابن عباس ومولاه- أنه ما سمع ابن عباس يفسر آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ، إلا ونزع فيها بيتاً من الشعر، وأنه كان يقول: إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، به حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله، وغريب حديث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وغريب حديث صحابته والتابعين<sup>(٢)</sup>.

(١) طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ٢٤/١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، المطبعة الكبرى، مصر، ٢٥٥/٢، البخاري في صحيحه مع فتح الباري جـ ١/٥٣٨ باب الأدب، ومناقب الأنصار ..

وهكذا نرى الأدب من أهم وثائق التاريخ ، لما يرصد الأديب من أحوال عصره السياسية والاجتماعية، والإنسانية، فكان الأدب تأريخاً لكل العصور، وليس ذلك وفقاً على تاريخنا العربي ، فنحن نجد أن الأساطير اليونانية أرخت لتاريخ اليونان، و حكايات الأدب فرعوني أرخت لتاريخ مصر القديم ، كما أن الأدب لا يقدم التاريخ في صورة أحداث نمطية ، كمراسلات وعهود واتفاقات ومكاتبات ؛ لكنه يجسد الحياة الإنسانية ، يجسدها من روح ودم ، فتنطق من خلالها الأحداث وتبوح بأسرار ، قد يخجل المؤرخ أو يخشى من تسجيلها إذا كان معاصراً للحدث وشاهداً عليه ، فيحمله الأدب في طياته دون خوف أو وجل .

## المبحث الثالث

### تاريخ الأدب

عندما بدأ تدوين العلوم ، كان الأدب في طليعة ما دُون ، عن طريق جمع الجيد من كلام العرب من منظوم ومنثور " فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة، من شعر عالي الطبقة، وسجع متساو في الإجادة، ومسائل من اللغة والنحو مبنوثة أثناء ذلك متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة، والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه، فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه"<sup>(١)</sup> ، كما في كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ٢٥٥ هـ ، وكتاب « أدب الكاتب » لابن قتيبة (أبو محمد عبد الله ابن مسلم) ٢٧٦ هـ، وكتاب « الكامل » للمبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) ٢٨٥ هـ ، وكتاب « النوادر » لأبي علي القالي البغدادي (أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي الأندلسي) ٣٥٦ هـ ، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد) ٣٢٧ هـ ، و(زهر الآداب) لإبراهيم الحصري القيرواني ٤٥٣ هـ ، وكتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) لشهاب الدين النويري ٧٣٢ هـ ، وكتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) ٨٢١ هـ ، أو يترجمون لأعلام الأدب ، فيعرفون بهم ويذكرون حياتهم ، وشيئا من إبداعهم كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ، أو أغاني أبي الفرج ، وغيرها مما هو معدود من كتب التراجم

(١) المقدمة ديوان المبتدأ والخبر ، مصدر سابق "ج ١ ص ٧٦٣.

والأعلام ، وقد يصنفونهم في طبقات ، كما في فحول الشعراء لابن سلام الجمحي مما يوحى بلمح نقدي في التصنيف ، أو يجعلون الأدب مادة للتطبيق والتمثيل كما في كتب البلاغة ونحوها من علوم العربية . وظل الأدب يدون ويدرس على هذا النحو حتى مطلع القرن العشرين ، وما (الوسيلة الأدبية) للمرصفي<sup>(١)</sup>، و(المواهب الفتحية) لحمزة فتح الله<sup>(٢)</sup> عنا ببعيد .

وكان (حسن توفيق العدل)<sup>(٣)</sup> واضع اللبنة الأولى لعلم تاريخ الأدب ، حيث نقله عن الأدب الألماني إبان بعثته في مؤلفه (تاريخ آداب اللغة العربية) ، وكان في الأصل مجموعة محاضرات يلقيها الشيخ علي طلبة دار العلوم ، وتوفي دون أن يطبع ، ثم طبعته نظارة المعارف علي نفقتها سنة ١٩٠٦ بمطبعة مدرسة الفنون والصنائع ، ومن بعده عرف علم تاريخ الأدب ، وتلقف هذا المنهج كثير

(١) الشيخ حسين أحمد المرصفي (توفي ٢٦ يناير ١٨٨٩م) هو شيخ الأدباء في عصر الخديو إسماعيل، وهو أوائل أساتذة دار العلوم عند إنشائها

(٢) الشيخ حمزة فتح الله المصري ابن السيد حسين بن محمد شريف التونسي (ولد سنة ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م، الإسكندرية - توفي سنة ١٣٣٧ هـ ١٩١٨م، القاهرة)

(٣) حسن توفيق بن عبد الرحمن العدل: ولد بالإسكندرية. وتعلم بالأزهر ودار العلوم في القاهرة، واختير معلما للعربية في المدرسة الشرقية ببرلين، وأصدر في برلين مجلة (التوفيق المصري) وعاد إلى مصر فعين (مفتشا) في المعارف ، فمدرسا بدار العلوم. ثم اختير أستاذا للعربية في كمبردج فذهب إليها سنة ١٩٠٣ م. ومات فجأة وهو خارج من عمله في كمبردج، ونقل إلى مصر. من كتبه (رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرا - ط) و (الرحلة البرلينية - ط) و (الحركات الرياضية البدنية - ط) و (مرشد العائلات إلى تربية البنين والبنات - ط) و (أصول الكلمات العامية - ط) رسالة، و (تاريخ آداب اللغة العربية - ط) و (سياسة الفحول في تثقيف العقول - ط). تفاصيل أكثر عن حياته راجع الأعلام لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ط ١٥ مايو ٢٠٠٢ م ، ج ٢ ص ١٨٦ .

من المهتمين بدراسة الأدب ، فألف حفني ناصف كتابه "تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية" في جزعين (١٩١٠م)، وأحمد الإسكندري (١٨٧٥-١٩٣٨م) كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي" (١٩١١م)، و جرجي زيدان (١٨٦١-١٩١٤م)، كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية" في أربعة أجزاء (١٩١١م) والذي انتهى منه سنة ١٩١٤م، وأحمد الإسكندري ومصطفى العناني في كتابيهما "الوسيط في الأدب العربي وتاريخه" (١٩١٩م)، وأحمد حسن الزيات (١٨٨٥-١٩٦٨م) في كتابه "تاريخ الأدب العربي" (١٩٢٥م)، وأحمد أمين (١٨٨٦-١٩٥٤م) في كتبه المتسلسلة: "فجر الإسلام"، و"ضحى الإسلام"، و"ظهر الإسلام"، و"حنا الفاخوري" (١٩١٦-٢٠١١م) كتابه "تاريخ الأدب العربي"، وعمر فروخ (١٩٠٦-١٩٨٧م) في تأريخه للأدب العربي، والدكتور شوقي ضيف (١٩١٠-٢٠٠٥م) في موسوعته: "تاريخ الأدب العربي"... إلخ<sup>(١)</sup>.

وبدأت دراسة الأدب وتدرسه بشكل منهجي وفق عصور ارتبطت ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتقسيم التاريخي للعصور الزمانية ، فقسمت العصور الأدبية إلى جاهلي ، و صدر الإسلام وأموي وعباسي ، وعصر الدول المتتالية ثم العصر الحديث

ويتكئ هذا المنهج على "تطبيق مناهج التاريخ لوصف الأدب في عصر أو في عصور متتالية عند شعب واحد أو عدة شعوب مختلفة، فعلى المؤرخ الأدبي إذن أن يحدد عصوراً أدبية، ذكراً اتجاهاتها العامة وأن يحاول الربط بين إنتاج الأديب وغيره من الأدباء، كما يربط أيضاً بين الحدث الأدبي -أيما كان- والأحداث التاريخية العامة سياسية كانت أو اجتماعية. وعليه أن يصف الأدب لا كظاهرة

(١) مناهج الدراسات الأدبية في الأدب العربي: عرض ونقد واقتراح، شكري فيصل، دار العلم

للملايين، ط٣، بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م، ص: ١٨

ثابتة، وإنما كظاهرة تتغير وتتطور مع مرور الزمن لرد فعل أو تأثر أو تفاعل بين عناصر أدبية مختلفة عبر العصور<sup>(١)</sup>."

وأول من ابتدع هذا التقسيم، المستشرقون من علماء أوروبا من أمثال المستشرق الألماني كارل بروكلمان، في كتابه تاريخ الأدب Carl Brockelmann ، وعند الإيطالي كارل نالينو (Carlo Alfoso Nallino)، في كتابه "تاريخ الآداب العربية، وعند المستشرق الإنجليزي رينو نيكولسن (R.A.Nicholson)، في كتابه "تاريخ العرب الأدبي" ، والمستشرق الروسي ( Ignaj Julianovic Krackovskij أغناطيوس كراتشوفسكي) في كتابه "دراسات في تاريخ الأدب العربي" ... وغيرهم كثير.

وهكذا تعانق التاريخ مع الأدب في اعتماد المنهج التاريخي تقسيماً زمنياً ، واتخذ الأدب منه خلفيته يعتمد على وقائعه ، وتحليله للأحداث المختلفة ، والاستناد في فهم وتفسير المستجدات على الساحة الأدبية ، وصار هذا المنهج الأوسع انتشاراً واستخداماً بين الباحثين.

وهذا المنهج يكشف التطور الحاصل في مسيرة الفنون الأدبية ورصد الظواهر والمستجدات على الساحة الأدبية ، وتطور الأذواق في كل عصر، ويربط بين الأحداث السياسية والتطورات الاجتماعية وانعكاسها على الإبداع الأدبي.

غير أن ما ينبغي علينا تسجيله وملاحظته أن خضوع التقسيم الأدبي للتقسيم السياسي غير دقيق ، فالظواهر الأدبية لا تحدث طفرة حتى تتفق مع العصور التاريخية بدء ونهاية ، وليست استجابة فورية حتى ترتبط بالأحداث السياسية ارتباطاً كاملاً ؛ فالنغبر في الأدب ، يحصل بالتدريج ، فالأديب الذي تشكلت معالم

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان

أدبه في عصر من العصور ، لا تتغير معالم تجربته وملامح إبداعه بالانتقال من عصر إلى عصر الذي يؤقت باليوم واللييلة ، وهل تؤثر في تجربته الأحداث فور حدوثها ، أم تحتاج إلى وقت تختمر هذه المستجدات في عقله الباطن ، ثم تولد في شكل تجربة إبداعية ، والتعبير السريع المواكب للحدث لا يمثل في رأيي تجربة إبداعية راقية ، يمكن أن تكون مجارة أو ممالأة ، ويختلف الحدث بقربه أو بعده من نفس الأديب أدناه القرب والبعد المكاني ؛ لكن الذي أقصده القرب والبعد النفسي . ولذلك نال هذا المنهج انتقادات واسعة (١) ، هذا التقسيم التاريخي أكثر تناسبا مع الأدب الأوربي لأنه أدب محلي ، وليس أدبا إقليميا ، فالعصور الأدبية في أوربا لا تزيد عن خمسة قرون منذ عصر النهضة ونشأة اللغات المستحدثة المنفصلة عن اللغة اللاتينية ، فهو وحدات منفصلة عن بعضها انفصالا سياسياً وتاريخياً ولغوياً وأدبياً من حيث استقلال كل منها بلغتها الخاصة وأدبها الخاص في ضمن حدودها الضيقة ، بينما خريطة الأدب العربي تمتد على مساحة قارتين ، وزمانا ممتدة لأكثر من خمسة عشر قرنا ، ومن ثم فالمنهج الذي يصلح لآداب الأوربية ، يصبح قاصرا عند تطبيقه على أدبنا العربي ، ولكن ورغم كل هذه الانتقادات إلا أنه منهج صالح للتطبيق يملك مسوغات القبول ، فقد قدم لنا الأدب العربي مقسما وفق عصور التاريخية ؛ مما أتح لنا رؤية الخصائص الفنية المشتركة في منظور محدد الزمان والمكان ، مما ساعد على إدراك المؤثرات

(١) راجع : في الأدب الجاهلي / طه حسين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٤ م ، ص ١٠ ، وما بعدها. وراجع: مناهج الدراسة الأدبية د / شكري فيصل ، دار العلم للملايين مقدمات العلوم والمناهج ، ج ٤ (اللغة والأدب والثقافة) ، أنور الجندي : دار الأتصار، نشر: ١٤٠٩م ص ١٦١ وما بعدها.



الجديدة التي أضافها كل عصر، وبدا التمايز واضحا في إدراك التطور الحادث وفق المعايير الاجتماعية والتاريخية التي أفرزها العصر. وما يعنينا في الخط البياني لبحثنا إلا أن نؤكد على عمق العلاقة بين الأدب والتاريخ ، الذي احتضنه الأدب وصار أحد مناهجه ، واعتمد عليه في دراسة ظواهره ، وتغيراته .

## المبحث الرابع

### أدب التاريخ

أقصد بأدب التاريخ ؛ تلك الفنون الأدبية التي يرتدي فيها الأديب ثوب المؤرخ في العناية الدقيقة بالأحداث وترتيبها وصياغتها وتحليلها ، ويقدمها للقراء بوصفها عملاً أدبياً مصبوغاً بلون التاريخ ، ومن هذه الفنون فن السيرة ( الترجمة ) ، والرواية أو القصة التاريخية ، وسنرى خلال عرضنا كيف أن التاريخ حاضر فيها مما يجعله وثيقة تاريخية للأعلام كما في السير والتراجم ، أو يقدم التاريخ بلون قصصي يبعد به عن جفاف الحقائق ، ويسمو به إلى مرتبة الأدب ، كما هو الحال في الرواية والقصة التاريخية .

#### أولاً : فن السيرة ( الترجمة ) .

وردت لفظة ("السيرة") في اللغة بمعنى : الطريقة، يقال: "سار" بهم سيرة حسنة، وبمعنى : الحال والهيئة ، جاء في قوله - تعالى - : ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ٢١] أي: إلى هيئتها الأولى<sup>(١)</sup> ، و"السيرة": حكاية أحاديث الأمم السابقة... ، وفي اصطلاح علماء المسلمين: كل ما يتصل بحياة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - سواء قبل البعثة أو بعدها، وكلمة السيرة أعم من كلمة المغازي، وهي جمع مغزاة أو مغزى، وقد تقتزن الكلمتان كما ذكر ابن سيد الناس، وسمى كتابه "عيون الأثر في المغازي والشمال والسير"<sup>(٢)</sup> : وأول ما استعملت لفظة السيرة كانت في سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد سمي المؤلفون فيها بأصحاب السير والمغازي، في البداية كانت السيرة النبوية

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مصدر سابق ج ٤ ، ص ٣٩٠ ، مادة سير .

(٢) الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم ، محمود الطناحي ،

مكتبة الخانجي ١٤٠٦ - ١٩٨٥ ، ص ٤٣ ، ٤٢ .

باباً من أبواب الحديث في الكتب الصحاح، ثم ظهر كتاب لسيرة النبي صلى الله علي وسلم في أواخر القرن الأول وبدايات القرن الثاني الهجريين، وتعدُّ سيرة ابن هشام، تلك التي رواها عن ابن إسحاق، أقدم مصدر معتمد عليه في هذا الباب وبعد ذلك، توالي كتاب السيرة النبوية، وتنوعت مقاصدهم بين من يكتبون عن أخلاقه وشمائله - صلى الله عليه وسلم - ومنهم من تخصص في كتابة المغازي ومنهم من أفرد كتاباً للسيرة، كالقاضي عياض في كتابه "الشفاء في تعريف حقوق المصطفى"، ومنهم من جعل السيرة قسمًا من كتاب في التاريخ، كالطبري.

وفي العصر الحديث وجدنا من يكتبون سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفق مقاييسَ فنيةٍ لفن السيرة، تعتمد على التحليل والنقد؛ مثل "محمد حسين هيكل" في كتابه ( حياة محمد ) و"العقاد" في كتابه (عقريّة محمد)، وفي هذا الإطار جاء من المستشرقين من حاول الدس كالمستشرق "الأب لامنس"<sup>(١)</sup>، وممن سار على طريقتهم مثل طه حسين في كتابه ( على هامش السيرة ) . وظل مصطلح السيروي مرتبط بسيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) إلى أواخر

(١) هنري لمنس ولد في جنت، بلجيكا عام ١٨٦٢، توفي في بيروت سنة ١٩٣٧. يسوعي بلجيكي ومستشرق، انضم في سن الخامسة عشر لجماعة اليسوعيين في بيروت واستقر بعد ذلك في لبنان. درس اللغة العربية، اللاتينية واليونانية ثماني سنوات. أول أعماله كانت قاموسا عربيا سنة ١٨٨٩. أصدر من بيروت جريدة البشير وأصبح بعد العديد من الرحلات مستشرفا في كلية الدراسات الشرقية لجامعة القديس يوسف. قام بعدة دراسات عن الأمويين وعن الجزيرة العربية ما قبل الإسلام. كتب العديد من المقالات للطبعة الأولى من موسوعة الإسلام إضافة إلى مساهمات في عدة مطبوعات متخصصة. اعتبرت مساهماته لدى مؤرخي الإسلام بالهامة جدا، وهذا من ناحية كونه من أشد المتحاملين على الإسلام حتى يُتهم كثيرا بالتزوير والتزييف، وبالذات في دراساته في السيرة النبوية والتاريخ الأموي عن ( الموسوعة الحرة )

القرن الثالث الهجري ، عندما ألف أحمد بن يوسف الداية كتابا تحت عنوان: ( سيرة ابن طولون)، ولعل هذه هي أول مرة ينتقل فيها استعمال لفظة ( السيرة ) من سيرة النبي إلى سيرة غيره من الرجال . وفي أوائل القرن الرابع الهجري ، اتَّجَه بعض العلماء إلى كتابة سير عظماء المسلمين من خلفاء وأمراء وقادة ، فكتب "عبدالله البلوي" سيرة ثانية لابن طولون، ولكن بشكل أكثر تمحيصًا وتوسعًا، وفي القرن الخامس كتب "أبو النصر العتبي" سيرة السلطان "محمود الغزنوي"<sup>(١)</sup>، الذي يرجع إليه الفضل في نشر الإسلام في ربوع الهند، وفي القرن السادس كتب "ابن الجوزي" طائفةً من السير لجماعة من عظماء الدولة الإسلامية كـ"عمر بن عبدالعزيز"، ولكنها ظلت في جوهرها تسجيلًا للأحداث والأعمال والانتصارات الحربية ، وحين ازدهرت الحضارة الإسلامية، وكثر فيها العلماء والأدباء - راجت كتابات السير والتراجم ، فألّفت كتب لطبقات الشعراء، وأخرى لعلماء الفقه، وثالثة لعلماء النحو، وهكذا، حتى البلدان عني العلماء بالتأليف في تواريخها، والحديث عن علماء كل بلد وأدبائه، ثم اختفت السير في القرن السابع والثامن والتاسع عن حياة الأموات، وحلّت محلها الكتابة عن الملوك وأصحاب السلطان والعلماء الأحياء، ككتاب ابن شداد "النوادر السلطانية".

(١) اسمه بالكامل / يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين (ولد في ٢ نوفمبر ٩٧١م - وتوفي في ٣٠ إبريل ١٠٣٠م) المعروف باسم محمود الغزنوي هو حاكم الدولة الغزنوية في الفترة من عام ٩٩٨م إلى ١٠٣٠م في زمن الخلافة العباسية، وقد لقب بسيف الدولة، وىمىن الدولة، وأمىن الملة، والغازي، وبطل الإسلام، وفتح الهند، ومحطم الأصنام، ويمىن أمير المؤمنين، ولكنه اشتهر باسم السلطان محمود الغزنوي. عن ( الموسوعة الحرة )

ونحن في بحثنا سنعدل عن مصطلح (السيرة) في الكتابة عن حياة أحد غير المصطفى صلى عليه وسلم إلى مصطلح ( الترجمة )<sup>(١)</sup> تأدبا مع سيد الخلق صلى الله علي وسلم ؛ علما بأن المنظرين يطلقون مصطلح الترجمة حين لا يطول نفس الكاتب فيها، فإذا ما طال النفس واتسعت الترجمة سميت سيرة.

والترجمة : نوع من السيرة، والفرق بينهما الإيجاز والإطناب – كما أسلفنا – وهي لون من الأدب ؛ يجمع فيه كاتبه بين التحري التاريخي المراد منه لرسم صورة دقيقة لحياة إنسان<sup>(٢)</sup> ، وهي نوعان ؛ ترجمة ذاتية ، و ترجمة غيرية .

فالترجمة الذاتية هي : ( سرد متواصل يكتبه شخص ما عن حياته الماضية)<sup>(٣)</sup> ، والتراث العربي ثري بهذه الترجمات ، وإن لم يتحقق لها شكلها كجنس أدبي (يصوغها صاحبها في صورة مترابطة ، على أساس من الوحدة والاتساق في البناء والروح ...) <sup>(٤)</sup> ، وأول بادرة لكتابة السيرة الذاتية عند العرب كانت لسليمان الفارسي، ونجد بذورها عند شعراء الجاهلية استقاها الرواة من

(١) وهي كلمة دخلت إلى اللغة العربية من اللغة الآرامية ، ولم يكن الاصطلاح جرى على استعمالها ، فيما يبدو إلا في القرن السابع الهجري ، حين استخدمها ياقوت في معجمه بمعنى حياة الشخص ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، د/يحي إبراهيم عبد الدايم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ، ص ٣١ .

(٢) المعجم الأدبي / جبور عبد النور، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ١٩٨٤ ص ١٤٣ .

(٣) معجم مصطلحات الأدب ، مصدر سابق ، ص ٩٤ .

(٤) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، د/يحي إبراهيم عبد الدايم ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

قصائدهم في الفخر والحماسة<sup>(١)</sup>؛ غير أن هذه التراجم لا تماثل الواقع تماما ؛ لما حفلت به من المبالغة والتهويل ، ووصولاً إلى عصر التدوين كان الرواة ينقلون أخبار الشعراء والأدباء عنهم مباشرة على نحو مافعل الأصمعي (٢١٣ أو ٢١٦ هجرية ) ، وعند البحث نجد الأسماء الشهيرة التالية قد كتبت عن نفسها مثل الرازي، وابن سينا وأبو حيان التوحيدي، وابن الهيثم. هناك أيضاً طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، وسيرة ابن خلدون في كتابه (التعريف) ، وترجمة السيوطي لنفسه في كتابه حسن المحاضرة ، ولسان الدين بن الخطيب في كتابه ، نفاضة الجراب ، ، على أن أقدم ما وصل إلينا من تراجم ذاتية ترجمة الشاعر ”عمارة اليمني“، فقد كتب عن نفسه ترجمة ذاتية في كتابه « النُكت العصريّة في أخبار الوزراء المصريّة»<sup>(٢)</sup> .

أما في العصر الحديث وبالتحديد في القرن التاسع عشر الميلادي، سار المحدثون على طريقة قدمائنا في الترجمة لأنفسهم ، فنجد كتاب محمد بن عمر التونسي(ت-١٨٥٧م) في (تشحيز الأذهان بسيرة بلاد العرب ) حيث تحتوي مقدمة هذا الكتاب سيرة المؤلف نفسه ، والوظائف التي شغلها، ثم تحدث عن رحلته إلى بلاد السودان. وكتاب تخلص الإبريز في تخلص باريز لرفاعة

(١) (السيرة الذاتية الشعرية) قراءة في التجربة السيرية شعراء الحداثة العربية ، محمد صابر عبيد ،عالم الكتب الحديث، إربد، العراق، ط١، ٢٠٠٨، ص: وما بعدها.

(٢) السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوفان و جبر إبراهيم جبرا، إحسان عباس نموذجاً، تهاني عبد الفتاح شاكر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط، ١ ، ٢٠٠٢، ص: ٣٧ وما بعدها .

الطهطاوي (ت-١٨٧٣) فقد عدّه الباحثون من الكتب الأساسية في فن الترجمة الذاتية، مغلفاً بذكر رحلته إلى فرنسا<sup>(١)</sup>

أما أشهر التراجم الذاتية في الوطن العربي في القرن العشرين فهي (الأيام) لطف حسين، و(حياتي) لأحمد أمين و(قصة حياة) لإبراهيم عبد القادر المازني و(سبعون) لميخائيل نعيمة و(أنا) لعباس محمود العقاد ، و(قال الراوي) للشاعر المهجري إلياس فرحات و(حياة طبيب) لنجيب محفوظ و(قصة حياتي) لمصطفى الديواني و(مذكرات طالب بعثة) للويس عوض باللغة العامية ، وتوفيق الحكيم في ثنائيته (سجن العمر) و(زهرة العمر)<sup>(٢)</sup>.

وكتابة الترجمة الذاتية في العصر الحديث تشبه كتابة الرواية ، أو هي كتابة رواية، لكنها ليست من الخيال، بل من واقع الكاتب ومن تفاصيل حياته. ولا يجب أن يخترع الكاتب أحداثاً من خياله وإلا خرج الكتاب من تصنيف الترجمة الذاتية إلى الرواية ، وهي "فن حديث من فنون الأدب، انفصل عن علم التاريخ ، ودخل علم الأدب من باب الطاقة الشعورية التي يبيثها الأديب في موضوعه، والقيم الفنية التي يضمّنّها تعبيره"<sup>(٣)</sup>.

ويدخل في نظري في باب الترجمة الذاتية .

( أدب الاعترافات ) : وهو ذلك النوع من الترجمة الذاتية التي يروي فيها المؤلف مواقف نفسية أو عاطفية ، لا يعترف بها واضعوا الترجمة الذاتية عادة

(١) السيرة الذاتية في الأدب العربي ، تهاني عبد الفتاح شاكر ، مرجع سابق ، ص: ٧٠ ، ٧١ ، فن السيرة، دار الثقافة، إحسان عباس ، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٦م.ص١٣٠.  
(٢) ينظر: التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن ، ط ٣ ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٠ ص ٢٧ .

(٣) النقد الأدبي الحديث: أصوله ومناهجه"، أ/ سيد قطب، ص ٩٠.

ومن أمثلة الاعترافات (قصة حياة) لإبراهيم عبد القادر المازني<sup>(١)</sup> فهو يكشف عن أشياء مثيرة وحساسة وخطيرة في سيرته الذاتية، يروي فيها مثال شخصيته وأخطائها وخطاياها وسليبياتها بأسلوب اعترافي صريح ؛ وبهذا يمكن القول إن السرد الاعترافي هو سرد ذاتي يقصد إلى تعرية الذات، مما يجعل طريقة سرده هي التي تحدد هل هو اعترافي أو سيري.<sup>(٢)</sup>

**المذكرات:** وهي نوع من الكتابة الشخصية التي يركز فيها صاحبها على تسجيل مذكراته، سواء كانت متصلة بالأحداث الخارجية التي أحاطت به وبمواقفه منها، أو كانت استبطاناً ذاتياً يصور مشاعره وإحساساته<sup>(٣)</sup>، وفي المذكرات يكون الراوي أكثر حرية في سرد مرويات معينة، وإغفال أخرى على النحو الذي يطابق سياستها وغايتها المرجوة قياساً بتلك الحرية التي يتمتع بها الراوي السيري<sup>(٤)</sup>

**اليوميات:** فترد الأحداث فيها متقطعة، يخضع فيها عرض الأحداث لسلطة الزمن اليومي، ويتقيد كتابيا بالظروف الزمانية والمكانية والنفسية والاجتماعية ، يعوزها ترتيب زمن الأحداث تصاعدياً ؛ لأنها دونت متقطعة ، ومهما يكن من أمر فهي تصوير دقيق لتطور الشخصية في حركتها الداخلية والخارجية<sup>(٥)</sup>.

والترجم الذاتية تنشأ وتشب في حضان التاريخ ، فهي تاريخ، إذ أنها تتحدث عن شخص منذ ولادته وحتى وفاته، ويؤكد إحسان عباس هذه العلاقة إذ يقول: "كلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وأعماله متصلة

(١) معجم مصطلحات الأدب ، مصدر سابق ، ص ٤٩ .

(٢) السيرة الذاتية الشعرية، محمد صابر عبيد، مرجع سابق، ص ١٣٠ ..

(٣) لغة التهميش - سيرة الذات المهمشة، عبد العاطي إبراهيم هوارى ، ط ١ ، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٨ ، ص ٢٣ ..

(٤) السيرة الذاتية الشعرية، محمد صابر عبيد، مرجع سابق، ص ١٣١ ..

(٥) ينظر المرجع سابق، ص ١٣٢ ، ١٣٣ ..



بالأحداث العامة، أو منعكسة منها، أو متأثرة بها، فإن السيرة - في هذا الوضع - تحقق غاية تاريخية“<sup>(١)</sup> ، وما يؤكد ارتباط الترجمة الذاتية بالتاريخ ما قاله أحمد أمين في كتابه (حياتي): “لماذا - إذن - لا أُورخ حياتي، لعلها تصور جانباً من جوانب جيلنا، وتصف نمطاً من أنماط حياتنا، ولعلها تفيد اليوم قارئاً وتعين غداً مؤرخاً، فقد عنيت أن أصف ما حولي مؤثراً في نفسي متأثراً مما حولي“<sup>(٢)</sup>.

أما الترجمة الغيرية فهي : بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته حياة صاحب السيرة أو الترجمة ويفصل المنجزات التي حققها، وأدت إلى ذبوع شهرته، وأهلهته لأن يكون موضوعاً للترجمة<sup>(٣)</sup> ، والسيرة الغيرية أقدم زمناً من السيرة الذاتية ، وهي لون من الخطاب السردى ، يعرض التاريخ الحقيقى، وى محص فيه المؤلف الوقائع بحدودة تامة، بحسب تفهمه واستدعابه. ثم ى قدمها - فى إطار «الحقائق» التي توصل إليها كمؤرخ - بناء «سردى ى شبه العمل القصصى»، ىطلعنا فىه الكاتب على حىاة المترجم فى كل مراحل عمره ، وىحاول استكشاف البعد «الإنسانى» للشخصية بالالتفات الدائم إلى ملامحها الخارجية وتبدلها، ونموها الداخلى وصراعها النفسى، وحركتها الدائبة لبلوغ غايتها.

وإذا كانت الترجمة الذاتية تمشى مع التاريخ جنباً إلى جنب، فإن الترجمة الغيرية أدخل إلى التاريخ ، فكاتبها يعتمد على الأصل التاريخى للشخصية ،

(١) حياتى، أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية، مصر: ط٦، ١٩٧٨، ص٧.

(٢) فن السيرة، إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٥٦ . ص١٠١-١٠٥.

(٣) فن السيرة بين الذاتية والغيرية فى ضوء النقد الحديث ، عبد اللطيف الحيدى، دار

السعادة للطباعة، القاهرة، ط: ١. ١٩٩٦، ص: ٦٧.

ويرجع إلى مصادرَ ومراجعَ كثيرةٍ متنوعة، يستقي منها الحقائقَ والمعلوماتَ التي يعتمد عليها في تشكيل الشخصية ، فيفتش في مذكراتها واعترافاتها ويوميئها ، ورسائلها ، ووثائقها الشخصية ، ومرافقيها ومعاصريها ، بل ومخلفاتها من كتب أو مؤلفات أو أقوال ... إلى غير ذلك ، حتى تكتمل الصورة عن الشخصية التي يكتب سيرتها، فيجلي جوانبها، ويكشف أبعادها ، ولذا ؛ فهي وثيقة تعين المؤرخ في رسم صورة للعصر والمجتمع ؛ لأن هذه الشخصية بتجليات المترجم لها تعد جزء من تاريخ الأمة في تلك الحقبة .

### ثانيا : الرواية التاريخية

**الرواية التاريخية :** عمل فني لا ينقل السرد التاريخي الصلب، وإنما ينقل تصور الأديب له من خلال احتوائه للتاريخ وتفاعله معه بتشكيل فني مُستمد من مادته الأدبية التي صورها في بنائه القصصي ، أو هي ( سرد قصصي يدور حول حوادث تاريخية وقعت بالفعل ، وفيه محاولة لإحياء فترة تاريخية بأشخاص حقيقيين أو خياليين أو بهما معا )<sup>(١)</sup> ، ولا يعني هذا أن الرواية التاريخية تفقد خصائصها لصالح التاريخ ؛ بل هي تخضع الخطاب التاريخي لسيطرتها ، فتقدمه بطريقة جديدة تتناسب وطبيعة الخطاب الروائي<sup>(٢)</sup> ، وقد بدأت القصة التاريخية في تراثنا العربي والإسلامي باعتمادها على التاريخ المروي شفاهة أولا ، ثم كتابة في مرحلة تالية ، وكانت لها قالبها الخاص المعتمد على الحكى والقص ، ولم تكن تلتزم بتقنيات القصة كما نعرفها اليوم ، بل كانت تحكمها التلقائية في أسلوب عرضها ، وتطغى عليها الإخبارية أكثر من الفن .

(١) معجم مصطلحات الأدب ، مصدر سابق ، ص ١٨٤ .

(٢) توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، محمد رياض وتار ، اتحاد الكتاب العرب

دمشق ٢٠٠٢م ص ١٠٤ — ١٠٦ .

أما الرواية التاريخية في الأدب العربي في العصر الحديث ، بدأت رحلتها في لبنان عند سليم البستاني ( ١٨٤٨ — ١٨٨٤ ) الذي قدم ثلاث روايات تاريخية هي زنوبيا ١٨٧١ ، وهي تصور الصراع بين الرومان ومملكة تدمر ، ثم (بدور) ١٨٧٢ ودارت حول قصة حب بين أميرة أموية وابن عمها عبد الرحمن الداخل ، والثالثة (الهيام في فتوح الشام ) وجعل زمنها زمن الفتوح في عهد أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما ،<sup>(١)</sup> لكن لم تكن رواياته بالنضج الفني المطلوب بل اعترافها قصور وتفكك في معمارها الفني ، وأفسد بناءها بالتدخل والمقاطعة بالمواعظ والحكم ، يقول يوسف نوفل: «من الحق أن نقرر أن السمات الفنية لم تكتمل لدى البستاني، إذ تفتقد للروابط والتحليل والاستبطان، وتتميز بالسطحية والتفكك ، وعدم رسم الشخصيات»<sup>(٢)</sup>. ويعد جورجي زيدان هو الأب الحقيقي للرواية التاريخية العربية ، بكتابة سلسلة روائية ، اعتمد مصادرها التاريخية من تاريخ الإسلام ، فتاة غسان ، أرماتوسة المصرية ، وعذراء قريش ، وغادة كربلاء ، والحجاج بن يوسف ، وفتح الأندلس ، وشارل وعبد الرحمن ، وأبو مسلم الخراساني ، والعباسة أخت الرشيد ، الأمين والمأمون ، عروس فرغانة ، وأحمد بن طولون ، وعبد الرحمن الناصر ، وفتاة القيروان ، وصلاح الدين الأيوبي ، وشجرة الدر ، المملوك الشارد ... وغيرها ، وهذه الأعمال الروائية جعلها تعليمية فأخلص للتاريخ أكثر من إخلاصه للفن الروائي يقول: «إننا نتوخى جهدنا في أن يكون التاريخ حاكما على الرواية لا هي عليه كما فعل بعض كتبة الإفرنج ، وفيهم من جعل غرضه الأول تأليف الرواية، وإنما جاء

(١) رواد النهضة العربية، مارون عبود، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٢، ص ١٩٥.

(٢) السردية العربية ، عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،

بالحقائق التاريخية لإلباس الرواية ثوب الحقيقة ، وأما نحن فالعمدة في رواياتنا على التاريخ ، وإنما نأتي بحوادث الرواية تشويقاً للمطالعين، فتبقى الحوادث التاريخية على حالها، وندمج فيها قصة غرامية، تشوق المطالع إلى استتمام قراءتها، فيصبح الاعتماد على ما يجيء في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريخ»<sup>(١)</sup>. فقد كانت الرواية عنده وسيلة لا غاية ، مما دعا حلمي القاعود إلى إدراج روايات جورجى زيدان ضمن الرواية التعليمية، التي لا تتوفر فيها الأسس والمفاهيم الفنية لبناء الرواية، وإنما هي مجرد وسيلة لتحقيق غاية، وهو ما سبق لزيدان التصريح به<sup>(٢)</sup>. ورأى بعض منتقديه أن «الروايات التاريخية لجورجى زيدان وضعت قصداً، وألفت عمداً لتشويه التاريخ الإسلامى ، وتحريف حوادثه وهدم رموزه ، وقلب أموره رأساً على عقب ؛ نتيجة لخطة مرسومة، شارك فيها المستشرقون والمتعصبون المعروفون بعدائهم للإسلام وحقدهم على المسلمين»<sup>(٣)</sup> .

يقول عبد الجواد المحمص: «روايات خطيرة، تبث لقرائها السم في العسل»<sup>(٤)</sup>. وبالرغم من ذلك فقد فتح الباب لكتابة الرواية التاريخية من بعده ، فكتب علي الجارم أعمالاً تاريخية مثل شاعر ملك عن المعتمد بن عباد ، وفارس بنى حمدان، وهاتف من الأندلس، و مرح الوليد". وحرص في رواياته على رصانة اللغة وحسن الصياغة باعتباره شاعراً ومن أعلام مدرسة البيان في النثر الحديث —

(١) الحجاج بن يوسف، جورجى زيدان ، المقدمة، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٩، ص٦.  
(٢) الرواية التاريخية، حلمي القاعود ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م ص٣٢٠.

(٣) المرجع والصفحة السابقة .

(٤) المرجع والصفحة السابقة.

على حد وصف حلمي القاعود<sup>(١)</sup>. وكتب محمد فريد أبو حديد ، أبو الفوارس عنتره، والمهلهل سيد ربيعة، الملك الضليل . وتستمر المسيرة ، مع علي أحمد باكثير برواياته منها سلامة القس والثائر الأحمر. ثم محمد سعيد العريان في رواياته قطر الندى، شجرة الدر، على باب الزويلة. وقد تغير مفهوم الرواية التاريخية عنده وأصبح التاريخ المعتمد في الكتابة الروائية هو الناس، فأصبحت تلك الكتابات تعكس تاريخ الطبقة العامة من الناس لا الأبطال المعروفين. ويشارك عبد الحميد جودة السحار بقصة أميرة قرطبة، وقصة سعد بن أبي وقاص، وغيرهما ، أما نجيب محفوظ فله ثلاث روايات هي عبث الأقدار، ورادوبيس، وكفاح طيبة من التاريخ الفرعوني، وترقى الرواية التاريخية درجات سلم الفنية في كتابات نجيب الكيلاني في رواية عذراء جاكارتا وليالي تركستان ، ورواية عمالقة الشمال، وعمر يظهر في القدس. ويسقط جمال الغيطاني الماضي على الحاضر في توظيف رواياته التاريخية ، كما في روايته الزيني بركات .

لسنا في كبير حاجة الآن أن نعد الرواية التاريخية من أدب التاريخ ، بعد السياقات التي عرضناها حول موضوعها وطبيعتها تكوينها ، وهذه الروايات التي سردناها في مسيرة تطور الرواية التاريخية ، ورأينا أن التاريخ من الروافد الأساسية التي نهل منها كتابها ومبدعوها وكيف استدعوا الماضي في الحاضر ، بل لم يقفوا عند حدود الاستدعاء بل وظفوه إسقاطا على الحاضر .

(١) لرواية التاريخية، حلمي القاعود ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤،

**وختاماً :**

فالحمد لله أولاً وأخيراً على عونه وتوفيقه ، هذه رؤية طرحتها من وجهة نظري التي تقول إن الوشائج بين العلوم المختلفة قائمة ، رغم فواصل الاصطلاح والتقسيم ، والعلاقة بين الأدب والتاريخ أكثر قرباً وحميمية ، فإن رأيتُم سداد نظرتي فيما قدمت ؛ فله الحمد ومنه المنة ، وإن قصرت رؤيتي عن الوصول لما هدفت ، فيكفيني أنني حاولت ، وعلى النقص السبيل ،

## المصادر والمراجع

١. الإتيقان في علوم القرآن ، السيوطي ، المطبعة الكبرى ، مصر
٢. الأدب وفنونه - دراسة ونقد ا: عز الدين إسماعيل الناشر: دار الفكر العربي ،
٣. الأسلوب: أحمد الشايب الناشر: مكتبة النهضة المصرية الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣ ،
٤. الأعلام لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط ١٥ مايو ٢٠٠٢ م
٥. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، الإمام شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي ، تحقيق : المستشرق فرانز روزنثال .ترجمة التحقيق: الدكتور صالح أحمد العلي .دار النشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة النشر : ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م . الطبعة : الأولى .
٦. الإنسان والأدب في رسائل إخوان الصفا ، تأليف: منال إسماعيل عجب ، الناشر: وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق ٢٠١١
٧. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة
٨. تاج العروس، الزبيدي ، دار صادر، بيروت.
٩. تاريخ خليفة بن خياط. : خليفة بن خياط. تحقيق: د. أكرم ضياء العمري: دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ
١٠. التاريخ والسير، حسين فوزي النجار: دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤م.

١١. التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن ، ط ٣ ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٠.
١٢. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، د/يحي إبراهيم عبد الدايم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ.
١٣. توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، ، محمد رياض وتار، اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠٢ م .
١٤. الحجاج بن يوسف، جورجى زيدان ، المقدمة، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٩،
١٥. حياتي، أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية، مصر: ط ٦، ١٩٧٨.
١٦. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر / عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون /تحقيق : خليل شحادة نشر: دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .
١٧. رواد النهضة العربية، مارون عبود، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٢ م .
١٨. الرواية التاريخية، حلمي القاعود ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤.
١٩. زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري ، تحقيق ذكي مبارك القاهرة ١٠٥٣ م .
٢٠. السردية العربية ، عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٣ م .
٢١. (السيرة الذاتية الشعرية) قراءة في التجربة السيرية شعراء الحداثة العربية محمد صابر عبيد . عالم الكتب الحديث، إربد، العراق، ط ١، ٢٠٠٨ م.



٢٢. السيرة الذاتية في الأدب العربي ، تهاني عبد الفتاح شاکر ، مرجع سابق ، ص: ٧٠ ، ٧١ ، فن السيرة، دار الثقافة، إحسان عباس ، بيروت لبنان، ط١ ١٩٩٦م.
٢٣. السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوفان و جبر إبراهيم جبرا، إحسان عباس نموذجاً، تهاني عبد الفتاح شاکر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط، ١، ٢٠٠٢
٢٤. صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المؤلف : أحمد بن علي القلقشندي ، الناشر : دار الفكر - دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ ، تحقيق : د.يوسف علي طویل .
٢٥. ضحى الإسلام، أحمد أمين الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج٢،
٢٦. طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاکر، دار المدني بجدة.
٢٧. العقد الفريد / ابن عبد ربه ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ .
٢٨. عيون الأخبار/ عيون الأخبار: ابن قتيبة الدينوري الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ .
٢٩. فن السيرة، إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٥٦ .
٣٠. فن السيرة بين الذاتية والغيرية في ضوء النقد الحديث ، عبد اللطيف الحديدي، دار السعادة للطباعة، القاهرة، ط: ١ . ١٩٩٦م.
٣١. في الأدب الجاهلي / طه حسين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٤م

٣٢. القسطاس في علم العروض: الزمخشري ، المحقق: الدكتور فخر الدين قباوة الناشر: مكتبة المعارف بيروت - لبنان الطبعة: الثانية المجددة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
٣٣. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
٣٤. لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور ا: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .
٣٥. لغة التهميش- سيرة الذات المهمشة، عبد العاطي إبراهيم هواري ، ط١ ، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٨م.
٣٦. المختصر في علم التاريخ :محي الدين الكافيحي/ تحقيق: محمد كمال عز الدين :عالم الكتب ، لبنان ، بيروت /١٤١٠ - ١٩٩٠ م .
٣٧. مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه ، سيدة إسماعيل سيد كاشف : دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٣ م .
٣٨. المعجم الأدبي / جبور عبد النور، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤ م .
٣٩. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس مكتبة لبنان / ط٢ ١٩٨٤ م .
٤٠. مقدمات العلوم والمناهج ، ج٤ (اللغة والأدب والثقافة) ، أنور الجندي : دار الأنصار، نشر: ١٤٠٩ م .

- ٤١ . مناهج الدراسات الأدبية في الأدب العربي: عرض ونقد واقتراح، شكري فيصل، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.
- ٤٢ . المنظور الحضاري في التدوين منذ العرب، سالم أحمد محل ، سلسلة "كتاب الأمة" (العدد) ٦٠ ، رجب ١٤١٨ هـ / نوفمبر ١٩٩٧م.
- ٤٣ . منهج البحث التاريخي / د: حسن عثمان : دار المعارف، القاهرة، ط١١، ١٩٩٣ م .
- ٤٤ . منهج البحث التاريخي، د/عيد سعيد مرعي : مكتبة الخبتي، بيشة، ط١، ١٤٢٦هـ .
- ٤٥ . الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم ، محمود الطنّاحي ، مكتبة الخانجي ١٤٠٦ - ١٩٨٥م،
- ٤٦ . نشأة علم التاريخ عند العرب، عبد العزيز الدوري: العبيكان، الرياض، ١٤٢٠هـ .
- ٤٧ . النقد الأدبي : أصوله ومناهجه / سيد قطب / دار الشروق / ط١٠، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م .

### الدوريات

مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط ( العدد الثالث والثلاثون - الجزء الأول  
٢٠١٤م المصطلح الأدبي بين دلالة المفهوم وإشكالية التنظير / رمضان  
حسانين جاد المولى.

### الإنترنت :

( الموسوعة الحرة )